أجرى المقابلة: أنطوان شلحت وبلال ضاهر

مع اللواء احتياط والرئيس السابق لجهاز «الشاباك»

عامي أيالون: في ١٩٦٧ "حرّرنا" أراضي واحتللنا شعباً!

ساهم اللواء احتياط عامي أيالون، الذي شغل في السابق منصبي قائد سلاح البحرية الإسرائيلية ورئيس جهاز الأمن العام [الشاباك]، وانتخب بعد ذلك للكنيست عن حزب العمل وتسلم منصب وزير بلا حقيبة، قبل فترة وجيزة، في تأسيس حركة جديدة باسم «مستقبل أزرق- أبيض» تسعى لـ «ضمان الهوية اليهودية والديمقراطية لدولة إسرائيل» من خلال الحوار الداخلي بين شتى أطياف المجتمع الإسرائيلي.

وجاء في البيان التأسيسي لهذه الحركة أنها ستعمل من أجل إيجاد واقع إقليمي يتم فيه تطبيق حل دولتين لشعبين من خلال الاتفاق بين إسرائيل والفلسطينيين، لكن في حال انعدام اتفاق كهذا فإنها ستشجع «اتخاذ خطوات مستقلة» من طرف كل جانب على حدة شريطة أن يكون من شأنها أن تدفع قدماً نحو نشوء واقع دولتين لشعبين.

ومن هذه الخطوات المستقلة أشار أيالون، في سياق هذه المقابلة الخاصة معه، إلى ضرورة توجه الفلسطينيين إلى الأمم المتحدة من أجل الاعتراف بفلسطين كدولة وعدم الركون إلى إقامة هذه الدولة من خلال المفاوضات التي جرى تجريبها منذ أكثر من عشرين عاماً ولم تنجح، مشيراً إلى أنه لا توجد دولة في العالم نشأت نتيجة مفاوضات.

كما اعترف أيالون بأنه في أثناء الانتفاضة الفلسطينية الأولى فقط اكتشف أن حرب ١٩٦٧ التي «حرّرت» مناطق من «أرض إسرائيل» من ربقة الاحتلال الأردني بحسب الرواية الإسرائيلية الرسمية، تسببت في الوقت عينه باحتلال شعب، وعندها توصل إلى الاستنتاج بأنه «إذا ما أردنا الحفاظ على هويتنا، وبأن تكون هذه دولة للشعب اليهودي وديمقراطية، فإنه لا خيار أمامنا سوى الانسحاب من معظم المناطق في الضفة الغربية وغزة».

وقد انتخب أيالون (٦٩ عاماً) في كانون الثاني ٢٠١١ رئيساً للجنة الإدارية في جامعة حيفا، كما أنه زميل باحث في «المعهد الإسرائيلي للديمقراطية» في القدس.

وقد بدأت هذه المقابلة كما جرت العادة بسؤال عن طفولته والمناخ الفكري الذي نشأ فيه أجاب عنه قائلاً:

«وصل والداي إلى البلد في ثلاثينيات القرن العشرين الفائت. وقد جاءت والدتي للدراسة في القدس ضمن هجرة الشبيبة. كانت صغيرة، ربما في الخامسة عشرة من عمرها. وجاء أبي في نطاق الهجرة غير الشرعية المناهضة للانتداب. وكان واضحا بالنسبة إليهما أنهما ينتميان إلى الحركة الصهيونية. وفي الواقع أنهما أبلغا عائلتيهما وقالا: "نحن لا نؤمن بطريقكما، ولا يوجد لنا مستقبل هنا، في أوروبا. مكاننا هو في العودة... إلى صهيون».

(*) سؤال: من أين جاءا؟

أيالون: «جاءا من مكان كان يسمى عندما وُلد والدي النمسا – المجر. لكن بعد ذلك أصبحت تسمى هذه المنطقة ترانسلفانيا، وهي تقع الآن في رومانيا. لكن لغتهما الأم كانت الهنغارية. وتعلما في المدرسة اللغة الرومانية. كانا يعرفان سبع أو ثماني لغات. وفي تلك الفترة، بما أنه كان لديهما الأساس اللاتيني، كانا يتحدثان لغات كثيرة. كان هذا وسط أوروبا ببساطة. فهما من وسط أوروبا، ومن الطبقة المتوسطة – العليا، وكانت لعائلتيهما أملاك كثيرة، لكنهما قررا المجيء إلى فلسطين. أمي تعلمت في القدس. وبعد ذلك ذهبا مع مجموعة أخرى أقامت كيبوتس "حتسير كنيرت" في وادي الأردن، قبل العام ١٩٤٨».

(*) سؤال: هل ما زال هذا الكيبوتس قائما حتى الآن؟

أيالون: «كان حتسير كنيرت مكانا ينطلقون منه لإقامة الكيبوتسات، وعمليا انطلقوا منه للقيام بأنشطة استيطانية، وكل مرة في مكان مختلف. وبقيا في حتسير كنيرت من العام ١٩٣٩ حتى العام ١٩٤٨ . وبعد ذلك ذهبا للسكن في منطقة تقع شرقي "تسيمح" وقد كانت هناك قرية عربية كبيرة...».

(*) سؤال: سمخ.

أيالون: «اليوم يسمون ذلك المكان "معجان". كان هذا معسكرا بريطانيا يقع إلى الشرق من "تسيمح"، بالقرب من محطة القطار إلى الحجاز. وأنا ولدت في وادي الأردن، في العام ١٩٤٥ . ولدت في "حتسير كنيرت". وكانت صهيونية والداي ذات طابع اجتماعي – اشتراكي – تعاوني –كيبوتسي من أجل إنشاء إنسان جديد ليس لديه ملك شخصي. وهذا توجه يحرر من البرجوازية ومن كل ما اعتبروه حينذاك أنه سيء، وهو التملك والبرجوازية».

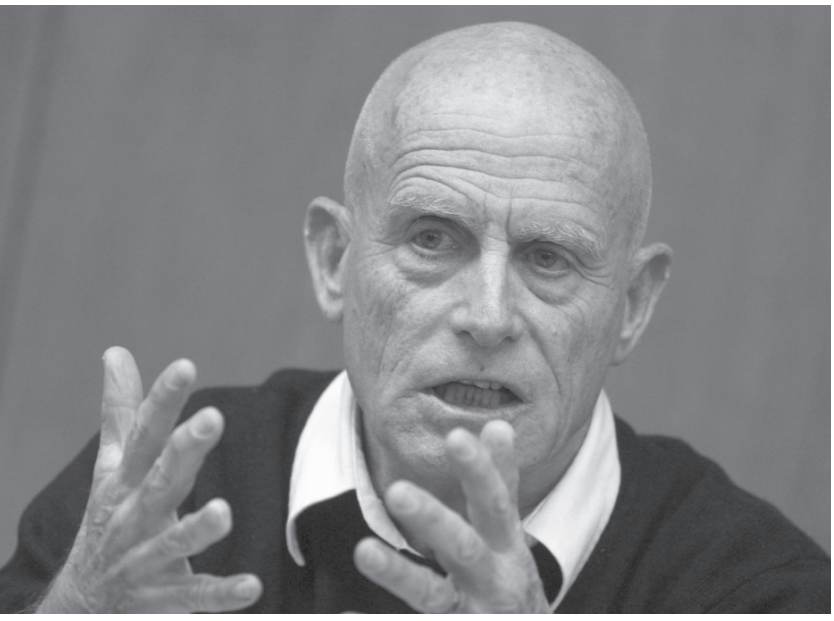

عامي أيالون.

(*) سؤال: إلى أي تيار في الصهيونية كانا ينتميان؟

أيالون: «كان يسمى في حينه تيار مباي. لكن من الناحية السياسية، كانت صهيونيتهما هي صهيونية الاستيطان والأمن. وهذا يعني، بمفهومهما، أنهما يأتيان إلى أرض إسرائيل الخاصة بنا، من أجل بناء دولة للشعب اليهودي، وحدود الدولة ستكون في أي مكان نبني فيه ونزرع أرضه ونتمكن فيه من الدفاع عن أنفسنا. هذه هي صهيونية الاستيطان والأمن. وأقول هذا لأني ولدت من رحم هذه الصهيونية.

بعد ذلك تجندت لسلاح البحرية والكوماندوس البحري، وشاركت في جميع الحروب. وكان مفهوم الصهيونية هو نفس المفهوم الذي ولدت فيه. وبعد حرب الأيام الستة [حرب حزيران ١٩٦٧] لم يتغير مفهوم الصهيونية لدى أعضاء الكيبوتس الذي كنت أسكن فيه. وهؤلاء لا ينتمون إلى حزب الليكود، وإنما ينتمون إلى حزب العمل. وقد خرج أفراد من الكيبوتس للاستيطان في سيناء وغور الأردن ومرتفعات الجولان. إن هذا الاستيطان ليس من اختراع حزب الليكود أو حركة غوش إيمونيم [الاستيطانية]، وإنما حزب العمل باعتباره يمثل صهيونية الاستيطان والأمن، هو الذي بادر إلى هذا الاستيطان. وأنا أنتمي إلى جيل يرى في حرب الأيام الستة أنها حرب تحرير، أي أنها استمرار لحرب الاستقلال [في العام ١٩٤٨]. نحن حررنا المناطق من الاحتلال... الاحتلال الأردني... في واقع الأمر، ليس مهما ممن حررناها. ما لم ننجزه في العام ١٩٤٨، أنجزناه في العام ١٩٦٧ . واستخدمنا في حينه مصطلح "المناطق المحررة". وبعد عدة سنوات، على ما أعتقد، أدركنا أنه يوجد هنا عنصر الاحتلال. لكننا أسميناه حينذاك "الاحتلال المتنور"، أي أننا أحضرنا الجامعات والاقتصاد العصري. وهذا نوع من المفهوم الكولونيالي. لقد جعلنا السكان

ولدت من رحم صهيونية الاستيطان والأمن، وهذا كان يعني السعي لإنشاء دولة للشعب اليهودي، بحيث تكون حدود الدولة في أي مكان نبنيه ونزرع أرضه ونتمكن فيه من الدفاع عن أنفسنا

المحليين، أي الفلسطينيين، يرون النور وجلبنا لهم التقدم والحياة العصرية. وقد أدركت التناقض الذي نعيش في داخله فقط بعد الانتفاضة الأولى. والانتفاضة الأولى، التي اندلعت في كانون الأول ١٩٨٧، لم تبدأ بموجة إرهاب، وإنما بهبة شعبية، انتفاضة. وعندها شاهدت آلاف النساء وطلاب الجامعات والأولاد يحملون العصي والحجارة. وكان بعضهم يندفع نحو موته، أي أنه كان واضحا لقسم منهم أنه سيتعرض للأذى».

(*) سؤال: أين كنت في أثناء الانتفاضة الأولى؟

أيالون: «في سلاح البحرية. وكنت، نسبيا، ضابطا كبيرا، قائد قاعدة أسدود. ومن هذه القاعدة كنا نسيطر على كل المنطقة حتى الحدود مع مصر. وكانت تحت إمرتي قواعد عسكرية بينها قاعدة في إيرز [المنطقة التي يتواجد فيها معبر بيت حانون اليوم] وأخرى قرب الحدود مع العريش، حيث كانت هناك محطة رادار ويوجد فيها ٤٠ إلى ٥٠ جنديا. وتعين عليّ أن أتجوّل كثيرا بين هذه القواعد. وعدا ذلك، كنا مسؤولين عن كل منطقة صيد الأسماك. ولذلك كنت ألتقي مع الصيادين ورؤسائهم وتجولت في غزة وفي [مخيم] الشاطئ، وخلال ذلك اصطدمت بمظاهر إلقاء الحجارة، أي أنني شاهدت ذلك عن قرب. وكانت هذه هي المرة الأولى التي أدركت فيها أننا حررنا أماكن أو أراضي لكننا في الوقت عينه احتللنا شعبا، إذ إننا لم نحرر الناس، وإنما احتللناهم. وقلت إن هؤلاء الناس الذين ينشطون حاملين هذا الكم من الكراهية والمهانة والإحباط، ليسوا أناسا يشعرون بأنهم محررون. هؤلاء أناس يشعرون بأنهم خاضعون للاحتلال. وعملياً، عندها توصلت إلى الاستنتاج بأنه إذا ما أردنا الحفاظ على هويتنا، وبأن تكون هذه دولة للشعب اليهودي وديمقراطية، فإنه لا خيار أمامنا سوى الانسحاب من معظم المناطق في يهودا والسامرة [الضفة الغربية] وغزة. وأدركت حينها أنه يوجد هنا، في الحقيقة، توتر لا يحتمل بين قيمي العالمية والإنسانية، قيم المساواة وكرامة الإنسان، وقيمي كيهودي يؤمن بأننا نستحق دولة خاصة بنا وندير فيها شؤون حياتنا بموجب ثقافتنا. وعمليا، هذا بلور وجهة نظري السياسية».

(*) سؤال: هل يعني هذا أنك توصلت إلى الاستنتاج بأنه يجب الانفصال عن الفلسطينيين وعن كل المناطق المحتلة؟

أيالون: «هذا صحيح. توصلت في حينه إلى الاستنتاج بأنه ليس لدينا خيار آخر. وبالمناسبة، كان واضحا لي أن هذه الانتفاضة هي حرب، وأن استخدام قوة عسكرية أكبر لن يجلب النصر لنا. وهذا واضح أيضاً بصفتي أعمل الآن في مجال الأبحاث، إذ إنه إضافة إلى كوني أتولى منصب رئيس اللجنة الإدارية في جامعة حيفا، فإنني أعمل في مشروع أبحاث حول موضوع "الإرهاب، الأخلاقيات والقانون". بكلمات أخرى كيف نحارب في حرب غير تناسبية: طائرة إف ١٦ مقابل انتحاري. وتوجد لا تناسبية كبيرة جدا بين الجانبين، وما زلنا نتمسك بالقيم الديمقراطية. لكن هذه الأمور تزداد تعقيدا، ونحن نفقد روح ديمقراطيتنا، وروح التعامل مع الناس على أنهم بشر، عبر الحفاظ على كرامة الإنسان والمساواة».

(*) سؤال: هل تتعاملون في هذا البحث مع الأمور على المستوى العسكري فقط، أم على المستوى المدني أيضا؟

أيالون: «لا يمكن الفصل بين الاثنين. في الماضي كان بالإمكان القيام بذلك، لكن بسبب طبيعة الحرب اليوم فإنه لم يعد بالإمكان إجراء فصل كهذا. واليوم نحن نخوض الحرب في أربع جبهات: في ميدان القتال الذي لم يعد ذا صلة بما نصفه كنصر؛ الحلبة الدبلوماسية؛ الحلبة القانونية؛ الحلبة الإعلامية – الشعبية. وما يحدث في ميدان القتال لم يعد مهما، وإنما المهم هي الصورة التي يراها الجمهور. والجمهور موجود في كل مكان يصل إليه الانترنت. وقد أصبح ميدان القتال اليوم في الحيز العالمي. كذلك فإن العولمة تؤثر في كيفية أداء الجندي في ميدان القتال. وللأسف، نحن وكذلك العالم كله، لم يبلور لنفسه حتى اليوم عقيدة وإستراتيجيا لحرب كهذه. لكن هذا يعتبر بحثاً آخر.

«لقد شاركت في جميع حروب إسرائيل، وأصبت مرتين. وتوليت قيادة الكوماندوس البحري، وبعد ذلك توليت قيادة سلاح البحرية. وبعد تسرحي من الخدمة العسكرية، في كانون الثاني ١٩٩٦، وكان ذلك بعد نحو شهر ونصف الشهر من اغتيال رئيس الحكومة الإسرائيلية [إسحق رابين]، خططت للدخول إلى القطاع الخاص. لكن بعد ثلاثة أو أربعة أيام تلقيت اتصالا

ما لم ننجزه في العام ١٩٤٨، أنجزناه في العام ١٩٦٧. واستخدمنا في حينه مصطلح «المناطق المحررة»، وبعد عدة أعوام، على ما أعتقد، أدركنا أنه يوجد هنا عنصر احتلال، لكننا سرعان ما أسميناه حينذاك «الاحتلال المتنور»

هاتفيا من شمعون بيريس، الذي أصبح رئيسا للحكومة، وطلب مني أن أتولى رئاسة الشاباك [جهاز الأمن العام الإسرائيلي]. وفي الحقيقة لم يكن بإمكاني الرفض. وبقيت رئيسا للشاباك لمدة أربع سنوات ونصف السنة، أي حتى أيار ٢٠٠٠. وكان لهذا المنصب تأثير بالغ عليّ، لأنه قبل أن أتولى رئاسة الشاباك كنت ألتقي مع الفلسطينيين في مخيمات اللاجئين وفي لبنان وسورية، عندما كنا نذهب إلى هناك من أجل أن نهاجم من وصفناهم بـ "المخربين" من حركة فتح. فقد كانت فتح التهديد الأساس علينا، وكان لديها جناح عسكري، ووقعت عمليات قُتل فيها مواطنون إسرائيليون. وكان مهما جدا بالنسبة لنا أن نضرب قواعدها في مخيمات اللاجئين، مثل مخيم الرشيدية. وكان هذا بمثابة حوار بيننا وبين الفلسطينيين من خلال المعارك والحرب. وهم بذلوا كل ما في وسعهم من أجل قتلنا، ونحن بذلنا كل ما في وسعنا من أجل قتلهم. أنا مؤمن بأنهم كانوا يعتقدون بأنهم سينتصرون في هذه الحرب، ونحن آمنا بأننا سننتصر، وجميعنا كنا مخطئين. ونحن ندرك اليوم أنه لا يمكن تحقيق الانتصار في هذه الحرب في ميدان القتال.

إن أول مرة التقيت فيها مع فلسطينيين وتعاملت معهم كبشر كانت بعد أن أصبحت رئيسا للشاباك. وقد التقيت بالطبع مع رؤساء الأجهزة الأمنية الذين حاولنا التعاون معهم في محاربة المتطرفين. وكان واضحا للفلسطينيين أنه في حال عدم نجاحهم في محاربة الإرهاب، فإنه لن تكون هناك تسوية سياسية. وكان واضحا أنه إذا لم ننجح في محاربة الإرهاب اليهودي، الذي قتل رئيس حكومة وشكل التنظيم اليهودي السري الذي قتل عربا في المناطق [المحتلة]، فإننا لن نتوصل إلى أي محادثات سياسية. لذلك أقول إن هذه المرة الأولى التي التقيت فيها مع فلسطينيين ليس من خلال فوهة البندقية. وقد توصلت إلى هكذا استنتاج من دون أي لبس، وهو استنتاج يصعب في غالب الأحيان على العسكريين أن يتوصلوا إليه، وذلك لأن الأفراد في الجانب الثاني، بالنسبة لمعظم العسكريين، هم أهداف. وثمة فرق بين هدف ينبغي إنزاله أو قتله، وبين الأفراد الذين ينبغي التحدث معهم. ولأنهم بشر، مثلي، فإن المشترك بيننا أكثر مما يفرق بيننا. فالأفراد، عموما، لا يستخدمون العنف إذا كان لديهم خيار آخر. إنهم يريدون الحرية، الاستقلال، المساواة، الاقتصاد المزدهر، يريدون أن يكسبوا رزقهم ويريدون تعليم أولادهم. والطريق إلى تحقيق ذلك متعلقة دائما بالخيارات المتوفرة. والإدراك بأن الطريق الوحيدة لمحاربة الإرهاب هي بصنع الأمل أحضرته من الفترة التي كنت فيها في الشاباك. فالإرهاب أو العنف المدني هو أمر لا يمكن الانتصار عليه بأدوات عسكرية. بالإمكان استخدام أدوات عسكرية لكن فقط عندما لا يكون هناك خيار آخر، وإذا لم يكن هناك أمل في موازاة الأدوات العسكرية، وليس أملا من وجهة نظري وإنما من وجهة نظر الجانب الآخر. وطالما لم يوافق الفلسطينيون على مفهوم الدولتين للشعبين، فإنه ببساطة لم يكن خيار أمام الإسرائيليين سوى استخدام القوة. لكن منذ العام ١٩٨٨ أو العام ١٩٨٩ عندما أصبح واضحاً أن الحركة الوطنية الفلسطينية التي تمثل أغلبية السكان الفلسطينيين توافق على مفهوم الدولتين للشعبين بات واضحاً أيضاً أن علينا أن نتحدث. العسكريون يدركون ذلك عادة في وقت متأخر».

حكومة إسرائيل لا تعرّف جرائم «جباية الثمن» على أنها إرهاب

(*) سؤال: كرئيس سابق للشاباك، كيف تفسر أن هذا الجهاز لا يستطيع كبح المستوطنين المتطرفين، أولئك الذين ينفذون اعتداءات «جباية الثمن»؟

أيالون: «تفسيري لهذا الأمر معقد، لأنه يبدأ قبل أي شيء بالخلاصة وهي أنه يوجد فشل هنا. فشل مهني. ويتعين على جهاز أمن عام جيد أن يقدم حسابا لنفسه ويقول إنه إذا كان هذا النشاط مستمراً، وهو كذلك، فهذا فشل للجهاز. وعندما حاولت جماعات "جباية الثمن"، قبل شهر ونيف، إحراق بيت فلسطيني وسكانه بداخله وبينهم خمسة أطفال وفقط بأعجوبة لم تحترق العائلة كلها، فإن هذا إرهاب بكل معنى الكلمة. ولذلك فإن هذا فشل قبل أي شيء آخر. لكن علينا أن نفهم إشكالية المجتمع الإسرائيلي. فالدولة لم تعرف هذا الأمر على أنه إرهاب. واقرأ الصحافة الإسرائيلية ستجد أنهم يسمون هذه الاعتداءات "جباية الثمن"، وليس إرهابا يهوديا. وتوجد للكلمات أهمية ليست عادية في تحديد الوعي. وإذا لم تعرّف هذا الأمر بصورة دقيقة،

بصمات المستوطنين على جدران مسجد في قرية ديراستيا بمحافظة نابلس.

فإنه بإمكانك من خلال غسل الكلمات أن تقنع نفسك بأن هذا ليس أمرا فظيعا. إذ توجد هنا أعمال إجرامية وتوجد محاكم. وباختصار فإنه توجد أهمية ليست عادية لتعريف الكلمة أو المصطلح. لأنها هي التي تحدد الوعي. ما هي هذه الظاهرة؟ ووفقا للظاهرة نقرر أي قانون يتعامل معها وأي قانون لا يتعامل معها، وأي أنظمة ذات علاقة بها، وما هو سلم الأولويات. في حالة كهذه لدى جهاز الأمن العام أدوات من أجل التعامل معها، وهل أريد معالجتها قبل أمور أخرى. وقد ادعيت، من خلال تصريحات لوسائل الإعلام أيضا، أنه لو عرّفت حكومة إسرائيل هذه الظاهرة على أنها إرهاب بكل ما يعني ذلك، فإنه سيتم التعامل معها كإرهاب، من خلال أساليب التحقيق والحقوق التي تمنحها للمعتقل جراء جرم كهذا، وحتى في أبسط الأمور مثل متى تسمح بأن يلتقي مع محام. وهذه أمور لها تأثير دراماتيكي».

(*) سؤال: تقصد أن أذرع الأمن ستتعامل بشكل مختلف عن تعاملها مع المستوطنين الآن؟

أيالون: «بكل تأكيد. وهذا يحسن القدرات من أجل جمع معلومات استخباراتية والحصول على أدلة وطريقة التحقيق. لكن حكومة إسرائيل لم تعرّف هذه الظاهرة على أنها إرهاب. وأنا أقول هذا كمواطن، لكن رئيس جهاز أمن عام لا يمكنه قول أمور كهذه. رغم ذلك يجب أن يفهم رئيس جهاز الأمن العام أنه يوجد فشل هنا. لكنني أقول، كمن يعرف عمل جهاز الأمن العام، ويعرف عملية سن القوانين في الكنيست الإسرائيلي، والفروق بين ما يسمح القانون به ولا يسمح به ضد جرائم من نوع آخر، إن الفشل يبدأ من أعلى مستوى في حكومة إسرائيل».

(*) سؤال: قررت واحدة من أكبر منظمات المحاضرين الجامعيين في الولايات المتحدة، مؤخرا، مقاطعة الأكاديميا الإسرائيلية، بسبب انحيازها لسياسة إسرائيل ضد الفلسطينيين. ما رأيك في ذلك، كونك ترأس الآن اللجنة الإدارية لجامعة حيفا؟ وكيف تنظر إلى كل موضوع المقاطعة وبضمن ذلك مقاطعة الاتحاد الأوروبي للمستوطنات؟

أيالون: «أنا ضد المقاطعة لسببين: الأول هو أن جوهر الأكاديميا كامن في عزل وإخراج العنصر القومي من الحرم الأكاديمي. فالأكاديميا موجودة من أجل أن تضيف إلى المعرفة

في العالم، وأن نفهم بشكل أفضل كل ما يتعلق بالعلوم والآداب والعلوم الاجتماعية. وكل جوهر الأكاديميا هو باستحداث بحث يتيح إمكان فهم العالم بصورة أفضل. توجد هنا فرضية ليبرالية جدا في الأكاديميا، بمفهومي، وهي أنه كلما كان الذي يشارك في هذا البحث مختلفا عن غيره أكثر فإن البحث سيكون أفضل. وهذا يعني أنه إذا جلبنا باحثين مشابهين لنا، من نفس الثقافة والديانة والمجموعة الإثنية، فإن فكرهم سيكون متشابها، وعندها تكون احتمالات حدوث انطلاقة أكاديمية متدنية، لأن النقاش الأكاديمي كله عبارة عن أسئلة وأجوبة ونظرية ونقيضها. وكلما أحضرت إلى الأكاديميا أشخاصا مختلفين عنك، من ثقافات مختلفة ومفاهيم مختلفة ومجموعات متنوعة، فإن احتمال أن تفهم الظاهرة يكون أعلى، وبالطبع ستتمكن من إحداث انطلاقة، سواء أكان ذلك في العلوم الطبيعية أم الاجتماعية أم الآداب. ونحن لا يمكننا القول إن هذه المجموعة لا يمكنها المشاركة لهذا السبب أو ذاك. في الماضي كان البيض يقصون السود، أو لأن هؤلاء مسلمين ونحن يهود، أو لأي سبب كان. وكان هذا أمرا غير صائب في فترة الحرب العالمية الثانية عندما لم يسمحوا لعلماء ألمان بالتحدث مع علماء بريطانيين. وهذا أمر غير صائب في جميع الأحوال.

والسبب الثاني عمليّ أكثر. فأنا أعرف المجتمع الإسرائيلي. وأشهد أنه في كل مرة يتم فيها فرض مقاطعة، فإن هذا يعزز المقاومة، ويعزز مفهوم أن العالم كله ضدنا. وأعتقد أن هذا ليس مفيدا أبدا. وبالمناسبة، هناك أدوات كثيرة جدا من أجل أن تقول ما الذي ينبغي فعله. والمثال الذي أورده دائما هو أننا انسحبنا من لبنان بسبب نشاط حركة مدنية في البلاد. ولذلك فإنني أريد إنشاء واقع سياسي يكون فيه الأفراد في المجتمع الإسرائيلي القوة التي تحرك حكومة إسرائيل من أجل العمل بشكل صحيح. وبالمناسبة، هذا حدث في الانفصال عن غزة. حينها أدركت مدى تأثيرنا. أنا وسري نسيبة، وفي موازاتنا كانت مبادرة جنيف. فبعد تنفيذ خطة الانفصال بسنة أو اثنتين، تحدثت مع دوف فايسغلاس [مدير ديوان رئيس الحكومة الإسرائيلية الأسبق أريئيل شارون] الذي كان مقربا جدا من شارون. وسألته لماذا انسحب شارون من غزة، وقد كانت هذه خطوة مناقضة لسياسته؟. وأجابني بأنه كان هناك سببان. ومضى يقول إنه لا الفلسطينيين ولا حماس دفعا شارون إلى تنفيذ هذا الانسحاب، وقد مرّ بأمور أصعب من ذلك بكثير. إن ما حدث، في الحقيقة، هو أن الرئيس الأميركي [جورج بوش الابن] زار الشرق الأوسط وطرح خطة خريطة الطريق. وكان واضحا لشارون أن ثمة أمورا ينبغي أن تتغير. السبب الثاني هو أنه بدأ يفقد المجتمع الإسرائيلي، أي أنه يفقد الجمهور. كيف أدرك ذلك؟ قال فايسغلاس إنه تم طرح مبادرة جنيف، التي كان لها تأثير هائل. وتابع أنه كانت هناك الوثيقة التي بلورتها أنا ونسيبة، ووقع عليها ٤٥٠ ألف إسرائيلي وفلسطيني، وقلت لشارون إنه دعك مما يقوله عرفات الآن، فها هم الإسرائيليون والفلسطينيون يقولون لك إن بإمكانك التوجه نحو تسوية وأغلبية الشعب ستدعمك. وأشارت استطلاعات الرأي في حينه إلى أن ٧٥ بالمئة من الجمهور الإسرائيلي يؤيدون وثيقتنا. وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك حركة الطيارين والضباط الذين رفضوا أداء الخدمة العسكرية، وأعلنوا أنهم لن يؤدوا الخدمة بسبب ما نفعله بالفلسطينيين في المناطق [المحتلة] وأن هذه جرائم حرب. وكان عددهم ١٠ – ١٥ طيارا ليس أكثر. ولكن عندما قال شارون إنه يعرف بعضهم، وإن هؤلاء مقاتلون قادوا مقاتلين آخرين إلى حروب وعمليات عسكرية، وعندما شاهد كل هذه الظواهر فإنه أدرك أنه لا خيار أمامه وأن عليه أن يفعل شيئا ما».

(*) سؤال: هل تدعي أن شارون كان مصغيا لصوت الجمهور ونبض الشارع؟

أيالون: «لا يوجد خيار في ظل النظام الديمقراطي سوى الاستماع إلى صوت الشارع لأنه يجب أن تُنتخب».

الشعب في إسرائيل لم يعد نشيطاً من أجل إحلال السلام مثلما كان في السابق

(*) سؤال: هل تعتقد أن رئيس الحكومة الإسرائيلية الحالي بنيامين نتنياهو يصغي إلى الجمهور؟

أيالون: «لا أعرف. وادعائي هو أن هذا الأمر ليس قيد الاختبار حاليا، كون الشعب غير نشيط الآن مثلما كان نشيطاً حينذاك. وقد كنت رئيسا للشاباك خلال ولاية نتنياهو الأولى في رئاسة الحكومة. كما كان يتعين على شمعون بيريس [الذي خلف رابين بعد اغتياله] إخلاء عدة أحياء في الخليل في نيسان ١٩٩٦، لكنه لم يفعل ذلك بسبب وقوع عمليات إرهابية، وأعلن أنه طالما لا يتم وقف العمليات الإرهابية فإنه لن ينفذ الانسحاب».

(*) سؤال: بعدها تولى نتنياهو رئاسة الحكومة ونفذ الانسحاب من الخليل.

أيالون: «تماما. وأعتقد أنه نفذ ذلك بعد أحداث النفق مباشرة. وأحداث النفق لم تكن انتفاضة وإنما مقاومة [قال كلمة «مقاومة» بالعربية]. وقلت لنتنياهو حينها: لقد قُتل ١٧ جنديا. نحن أعطينا الفلسطينيين بنادق وهم قتلوا جنودنا. والشرطيون الفلسطينيون

كان واضحا لي أن الانتفاضة الفلسطينية الأولى هي بمثابة حرب وأن استخدام قوة عسكرية أكبر لن يجلب النصر لنا

كانوا وراء هذا العمل. وهناك فرق كبير بين الانتفاضتين الأولى والثانية وبين أحداث النفق في العام ١٩٩٦، التي نظم جبريل خلالها إضرابا في القدس...».

(*) سؤال: تقصد جبريل الرجوب؟

أيالون: «نعم. ولذلك قلت لرئيس الحكومة إنه إذا كنت تريد الآن وقف عملية أوسلو فإنه توجد فرصة للقيام بذلك. وأن بإمكانه أن يعلن أن عملية أوسلو انتهت، وأنه ليس هذا هو الوضع الذي أردنا أن نصل إليه. وسألني نتنياهو ما الذي يجب أن نفعله بعد أن نعلن عن انتهاء عملية أوسلو. وأجبت أنه في تقديري، وحسبما أفهم الفلسطينيين، فإن على رئيس الحكومة أن يقول للأميركيين والفلسطينيين إن كل عملية أوسلو كانت خطأ، وأنه أردنا بناء الثقة ولم ننجح في ذلك. والحقيقة هي أن الفلسطينيين والإسرائيليين يُقتلون، ونحن لم نقصد الوصول إلى وضع كهذا، وأنه منذ هذه اللحظة وصاعدا سنبدأ بالحديث عن حل دائم.

لكن في تلك الفترة كانوا يقولون إنه سيتم الحديث عن الحل الدائم في نهاية العملية فقط. وفعلا، بدأوا بالحديث عن الحل الدائم فقط بعد تولي إيهود باراك رئاسة الحكومة. كنا لا نزال في العام ١٩٩٦، وقلت لنتنياهو ألا يفعل شيئا وأننا لن نتحرك ولن ننفذ أي انسحاب ولن نعطي الفلسطينيين سنتيمترا واحدا، وأنه منذ الآن سنتحدث عن مواصفات الحل الدائم. وقلت لنتنياهو إن الفلسطينيين سيوافقون على ذلك فقط إذا نفذت أمرا واحدا، وهو أنه من الآن فصاعدا لن نبني أي مستوطنة ولن نبني أي بيت في المستوطنات وسأجمد الوضع. وقلت إن هناك تناقضات كثيرة في الصراع، لكن أحدها هو العامل الزمني. نحن نعتقد أن الزمن يعمل ضد مصلحتنا. وكنا نفكر طوال الوقت في العامل الديمغرافي، وأننا سنصبح أقلية. وليس مهما إذا كان هذا صحيحا أم لا. كذلك فإن الفلسطينيين يقولون إنهم يريدون دولة، وهم يرون طوال الوقت أن هذه الدولة تتقلص وهناك المزيد من المستوطنات والشوارع والحواجز، وأن هناك من يخدعهم. ولذلك قلت لنتنياهو إنه إذا فعلت ما أقوله لك وفاجأتهم، فإنك ستشتري لنفسك هدوءا لمدة ١٢ شهرا، حتى تتوصل إلى اتفاق حول حل دائم. لكنه لم ينفذ ذلك وأعطى الخليل. وقد أعطى الخليل لأنه أدرك أنه ليس لديه دعم الجمهور الإسرائيلي ولا دعم الولايات المتحدة. وهذا يعني أن الأفراد يصبحون براغماتيين عندما لا يكون أمامهم خيار، إذ أنه بالنسبة للسياسيين في النظم الديمقراطية، ثمة أهمية كبيرة لاختيار الخطوات التي سينفذونها لكي يتم انتخابهم مرة أخرى».

(*) سؤال: لنفترض جدلاً أن إسرائيل تباركت بزعيم وقرّر أن يذهب بعيداً في تسوية الصراع، هل سيحظى بتأييد الجمهور الواسع، أفلن يلاقي المصير الذي كان من نصيب رابين خاصة وأن الرأي العام في إسرائيل ازداد تطرفاً... هل توافق على هذه المقولة الأخيرة؟

أيالون: «الرأي العام الإسرائيلي معقد أكثر من ذلك. وثمة نوع من التناسق ما بين شعور الجمهور الإسرائيلي بمستوى التهديدات وبين استعداده للذهاب نحو تسوية. وكلما كان يشعر بأنه مهدد أكثر، يكون استعداده بالتوجه إلى تسوية، تشمل تنازلات، متدنيا أكثر. وعليكم أن تفهموا، وهذا جزء من المأساة، أن ما يريده معظم الإسرائيليين هو الأمن. والحديث عن دولة يهودية وديمقراطية هو أمر ثانوي. اسأل الإسرائيلي ماذا يريد، سيجيبك أنه يريد الأمن. وهذا يدل على أنه خائف. فهو يريد الأمن أكثر من أي شيء آخر. إن الخوف يغذيه. ونحن كمجموعة ننظر إلى تاريخنا، وقسم منا ينظر إلى محاكم التفتيش وقسم آخر ينظر إلى المحرقة، ويوجد لكل واحد منا تاريخ طويل جدا. تاريخنا هو جزء من الرواية التي نتصرف هنا بموجبها. ولذلك فإن التوجه نحو تسوية، يعني بالنسبة لنا، أنه يجب منحنا الأمن. والشعور هو أننا مستعدون لتحمل مخاطر أقل. ولذلك، مثلا، السؤال المهم هو متى تجري استطلاع رأي. ولدي إجابة بسيطة جدا، ولا أحد منا هو نبي. في تقديري، إذا توصل رئيس حكومة إسرائيلي إلى تسوية مع زعيم فلسطيني، أو قيادة فلسطينية، بدعم من المجتمع الدولي، وتستند هذه التسوية إلى النقاط الست التي تضمنتها وثيقة أيالون – نسيبة سيحظى بتأييد. أنا أتحدث عن النقاط الست عن قصد رغم أنها مشابهة جدا لمبادرة جنيف ومبادئ الرئيس الأميركي الأسبق بيل كلينتون، لكن هذه النقاط الست أوضح من غيرها، وبقدر كبير هي مؤلمة أكثر. نحن نقول إن على اليهود العودة إلى دولة إسرائيل فقط، وعلى الفلسطينيين العودة إلى دولة فلسطين فقط. هذا بشأن حق العودة، وهي تسوية مؤلمة جدا. ولنفترض أن زعيما إسرائيليا توصل إلى تسوية على أساس هذه المبادئ، أو لاتفاق بدعم المجتمع الدولي، الذي بالإضافة إلى

ممارسات الاحتلال: ضغوط متصاعدة تهدد بالانفجار.

ذلك، وهذا سيناريو معقول، ستمنح أوروبا الجانبين امتيازات اقتصادية مذهلة، وأميركا تقول إنها ستمنح إسرائيل ضمانات أمنية، فإنه سيحظى بتأييد أكثر من ٧٠ بالمئة من الجمهور الإسرائيلي. ورغم ذلك لا يزال هناك السؤال حول ما إذا كان سيُقتل، وكيف سنتعامل مع أولئك الذين يعارضون التسوية في جميع الأحوال. في المجتمع الفلسطيني أيضا يوجد ما بين ١٥ إلى ٢٠ بالمئة يؤمنون بالإسلام السلفي وهم يؤمنون بنمط حياة الإسلام السلفي، وسيعارضون أي اتفاق. وهم يقولون أن البلاد كلها هي أراضي وقف، مثلما يقولون عندنا إن هذه هي البلاد المقدسة. ماذا سنفعل ضد هؤلاء الـ ١٥ – ٢٠ بالما–ئة في كلا الجانبين؟ في الحالة الإسرائيلية، بإمكاني القول، إن اتفاقا كهذا يجب أن يخضع لاستفتاء شعبي، لأنه سيمنح شرعية ولا يكون وفقا لإرادة القيادة السياسية فقط، إذ أن قيمة القيادة السياسية تتراجع باستمرار. وهذا حاصل في العالم العربي والعالم الغربي وإسرائيل. وإذا أقر الاستفتاء الشعبي اتفاق سلام كهذا، فإن هذه المجموعات المعارضة له ستكون معزولة عن الحكم. بإمكان زعيم ديني منح تفسير ديني للتسوية. وحتى أن هناك زعماء سيقولون إن أرض إسرائيل لنا وهي ملك للرب. وعلى مدار ألفي عام لم يمنحنا إياها. ونحن لا نعرف كيف يفكر الرب في كل لحظة. وهناك عبارة تقول "صوت الشعب هو صوت الرب"، أي أن الرب يتحدث إلينا من خلال شعب إسرائيل. وإذا قال شعب إسرائيل إن هذا ما يريده، فإنه ليس لدينا الحق في حمل السلاح ونقاوم. ما هي اليهودية؟ يقولون إنها: أرض إسرائيل، شعب إسرائيل، توراة إسرائيل. وإذا سألت ما هو الأهم، أرض إسرائيل أو شعب إسرائيل، فإن كل واحد منهم سيقول لك إن شعب إسرائيل أهم. وسيقولون لك إن أرض إسرائيل هي مهمة، ولكن يمكن الحصول عليها بعد مجيء المسيح المنتظر، بعد ألف عام. فقد انتظرنا ألفي عام. وبالإمكان العيش مع مقولة كهذه. ولكن هذا ممكن فقط في حال عرفوا كيف يشرحون ذلك لأنفسهم. ولذلك أعتقد أنه بإمكان إسرائيل أن تواجه التهديدات التي في داخلها».

الانتفاضة الثانية كانت ضد الاحتلال الإسرائيلي وضد إستراتيجيا الدبلوماسية!

(*) سؤال: اندلعت الانتفاضة الثانية بعد أن أنهيت ولايتك كرئيس للشاباك بأشهر معدودة. كما أنك تنظر إلى فشل قمة كامب ديفيد، بين عرفات وباراك، بصورة مختلفة عن الرواية الإسرائيلية التي تدعي أن «باراك أعطى عرفات كل شيء». لماذا اندلعت الانتفاضة الثانية برأيك؟

أيالون: «سأعطيك أفضل تفسير وفقاً لمفهومي. الانتفاضة الثانية لم تكن ضد الاحتلال الإسرائيلي فقط، وإنما كانت أيضاً ضد الواقع الذي كان يعيش فيه الفلسطينيون، وضد إستراتيجيا الدبلوماسية. لذلك كانت هناك عودة إلى العنف. بالمناسبة، فإن حماس فهمت هذا الأمر وتحولت عن خطابها الديني. وعندما خاضت حماس الانتخابات [٢٠٠٦]، لم تسمع منها جملة واحدة تتطرق فيها للقرآن. وإذا عدت إلى حملتها الانتخابية في العام ٢٠٠٦، فإنها جرت بلغة سياسية ضد فتح والسلطة الفلسطينية. بالطبع انهار حينها الاعتقاد بأن إسرائيل يمكن أن تعطي شيئا للفلسطينيين، كما انهار الاعتقاد أن إسرائيل تفهم لغة القوة فقط. وبالمناسبة أيضاً، فإن إسرائيل قضت على السلطة الفلسطينية، لكنها من دون أن تقصد ذلك عززت قوة حماس. لقد انتصرنا

عسكريا، لكننا فقدنا شركاءنا وبنينا المعارضة. وكان آخر شيء يريده الجمهور الذي صوت لحماس أن يرى أولاده يتعلمون في مدرسة إسلامية سلفية، فلقد صوتوا لها لأنهم اعتقدوا أن إسرائيل تفهم لغة القوة فقط، وإذا كانت تفهم هذه اللغة فقط فإن التوجه هو نحو الانتفاضة وحسب. وهذا ما تقوله حماس طوال الوقت. عندما سألوا الشيخ [أحمد] ياسين، في العام ١٩٩٨ ، ما هو أكبر خطر على حماس، قال إن الخطر الأكبر هو أن يعتقد الفلسطينيون أنهم سيحصلون على دولة بواسطة الدبلوماسية، أي أنه إذا آمن الفلسطينيون بالدبلوماسية فإن حماس لن تتمكن من الترويج لأفكارها. وهذا صحيح».

سؤال: لكن فشل ما تصفه بـ «الدبلوماسية» - أي المفاوضات - وعلى ما يبدو هذا ما هو حاصل الآن، سيؤدي ربما إلى وصول حماس إلى موقع قيادة الفلسطينيين أو إلى انتفاضة أخرى.

أيالون: «إذا لم يتغير الوضع، لا شك في أن هذا هو ما سيحدث. في نهاية سنوات الثمانين، أحضر شمعون بيريس اتفاقا وقعه مع الملك حسين الأردني، والمعروف باسم "اتفاق لندن"، إلى رئيس الحكومة الإسرائيلية حينذاك، إسحق شامير. لكن الأخير رفض هذا الاتفاق. في أعقاب ذلك قال بيريس في خطاب أمام الكنيست إن من لا يتحدث مع الملك حسين سيضطر إلى التحدث مع عرفات، ومن لا يتحدث مع عرفات سيضطر إلى التحدث مع المتطرفين أكثر. وأنا أقول إنه إذا لم نتوصل إلى تسوية دبلوماسية، ولم نتحدث مع أشخاص يؤمنون بالدبلوماسية، مثل الرئيس محمود عباس، لا شك في أن من سيخلفه سيؤمن بالعنف. هل سيكون من حماس أو من فتح؟ إذ إنه ليس فقط حماس نشطت في الانتفاضة، وإنما نشطت خلايا ما يسمى بشهداء الأقصى [كتائب شهداء الأقصى] وهؤلاء من فتح لا من حماس. لذلك فإنه لم يعد مهماً من سيخلف عباس. وليس مؤكدا أنه سيكون هناك عنف براغماتي، مثل عنف الإخوان المسلمين وحماس، وإنما قد يكون هذا عنفا بمستوى تنظيم القاعدة أو الجهاد العالمي، الذي لا يأخذ أي شيء في الحسبان، بينما حماس ما زالت مزروعة في الشارع الفلسطيني، ولديها اعتبارات مثل كم فلسطيني يمكن أن يعاني في حال عادت إلى سياسة العمليات التفجيرية. وتنظيم القاعدة ليست لديه اعتبارات كهذه».

(*) سؤال: وقعت خلال العام الأخير مواجهات كثيرة بين الفلسطينيين وقوات الأمن الإسرائيلية، وتم في الشهور القليلة الفائتة قتل عسكريين إسرائيليين على أيدي فلسطينيين. هذا يعني أنه يوجد تصعيد أمني ملموس. ويرى محللون إسرائيليون أن هذا التصعيد سيقود إلى انتفاضة جديدة، بينما أجهزة الأمن الإسرائيلية تستبعد ذلك. هل تعتقد أنه ستندلع انتفاضة ثالثة؟

أيالون: «أولا، هذا احتمال وارد جدا. لكنني الآن بعيد عن أجهزة الأمن وليست لدي معلومات استخباراتية. أولئك الذين يستبعدون انتفاضة، ماذا يقولون عمليا؟ إنهم يقولون إن الفلسطينيين تعلموا الدرس، وإنهم سيدفعون ثمنا باهظاً جدا. فقد قُتل الآلاف في الانتفاضة الثانية. لكن هؤلاء ينسون أمرا واحدا، هو أن الذين كانوا شبانا صغار أصبحوا الآن في الثلاثينات من أعمارهم. وهم لا يذكرون ثمن القتلى في حينه، علما أن الانتفاضة ستبدأ لديهم ولن يبدأها أشخاص أكبر سنا يسعون من أجل كسب رزقهم وإعالة عائلاتهم. الأمر الثاني هو أن معظم الفلسطينيين، بموجب استطلاعات الرأي، يعتقد أنه ستندلع انتفاضة ثالثة في حال مُنيت عملية السلام بالفشل. والسؤال من أين ستأتي الطاقات لإشعال انتفاضة جديدة بات سؤالا ثانويا. لكنني لا أعرف ما إذا كانت ستندلع انتفاضة جديدة، وهل ستكون انتفاضة شعبية، مثل الأولى وبقدر ما مثل الثانية، أم أنها ستبدأ بعمليات تفجيرية تنفذها مجموعات صغيرة لا تأخذ أي شيء بالحسبان مثل الجهاد العالمي».

(*) سؤال: وربما سيتأثر الفلسطينيون من الأحداث الجارية في المنطقة.

أيالون: «هذا صحيح».

لا يجوز أن تبقى المفاوضات هي الهدف... وثمة بديل

(*) سؤال: كيف ترى مستقبل إسرائيل في ظل التغيّرات التي تجري في الشرق الأوسط منذ ثلاثة أعوام وفي ضوء التحولات في العالم الذي يصبح أكثر فأكثر متعدّد القطب؟

على الرئيس محمود عباس أن يتوجه إلى الأمم المتحدة من أجل أن تعترف بفلسطين كدولة. لقد جربنا المفاوضات ولم تنجح... أعطني مثالا واحدا لدولة نشأت نتيجة لمفاوضات. دولة إسرائيل لم تنشأ نتيجة لمفاوضات بل تم إعلان إقامتها في الأمم المتحدة. وجميع الدول التي نشأت بعد حرب كوسوفو وكانت تشكل يوغوسلافيا سابقا، ليست نتيجة مفاوضات. لماذا يتعاملون مع المفاوضات كما لو أنها أمر مقدس؟

أيالون: «لدينا موقع الكتروني اسمه "مستقبل أزرق – أبيض" نتساجل فيه حول هذا الشأن، كما أننا نحاول أن ندرس هذا الأمر في إطار مشروع الأبحاث الذي نجريه هنا في الجامعة... لكنني أعتقد أن مستقبل إسرائيل منوط بإسرائيل. وغالبا ما أقول إنني متفائل، ليس لأنني أعتقد أن الأمور ستكون أفضل، وإنما لأنني مؤمن بأنه لأول مرة في التاريخ وصلنا إلى وضع نقرر فيه مصيرنا. والسؤال هو ماذا سنفعل؟. إن السياسة الحالية خاطئة. كما أنني لست مؤمنا بأن المفاوضات مع الفلسطينيين ستؤدي إلى تسوية. آمل كثيرا بأن أكون مخطئاً، لكنني لا أرى كيف يمكن أن يحدث هذا الأمر. إن الاعتقاد أن بإمكان عباس منح شعبه ما وعد به قبل خمسة أعوام هو، برأيي على الأقل، اعتقاد غير واقعي. كما أن الاعتقاد بأن بيبي [أي نتنياهو] سيعطي الفلسطينيين ما اقترحه [على الفلسطينيين رئيس حكومة إسرائيل السابق إيهود] أولمرت، يبدو لي أيضا غير واقعي وغير كاف. وعلينا أن نفهم أن هذا أقل واقعية، لأن الواقع في الشرق الأوسط تغير. والآن، فقد عباس دعم زعماء براغماتيين. وليس مهما ما هو رأينا في الرئيس المصري الأسبق حسني مبارك، لكنه كان زعيما براغماتيا وكان يؤيد عملية السلام. اليوم لا توجد زعامة تؤيد عمليات كهذه. عدا ذلك، إذا كانت هناك نتيجة مباشرة للثورات في الشرق الأوسط، فهي أن جميع الزعماء الذين ما زالوا في الحكم أصبحوا ضعفاء أكثر، والجماهير في الشارع أصبحت قوية أكثر. وهناك خطورة كبيرة في تعهد الزعماء لشعوبهم وقد أصبحوا لا يمثلون دولهم. وكان أحد ادعاءاتي ضد كامب ديفيد هو أن عرفات عندما ذهب إلى تلك المحادثات لم يكن يمثل المجتمع الفلسطيني كافة. ويبدو أنه لم يدرك هذا الأمر. وأن المجتمع الفلسطيني أصبح ينظر إليه كزعيم لا يمثله وأنه فشل عمليا. وعندما ذهب ايهود باراك إلى كامب ديفيد كان يتولى ست أو سبع حقائب وزارية، أي أن حكومته كانت قد تركته. ولذلك، فإنه عندما استمر بعد ذلك في إجراء المفاوضات في طابا قال له المستشار القانوني للحكومة إنه لا يمثل الدولة وإن هناك انتخابات قريبة، ولذا لا يمكنك التوصل إلى اتفاق سلام. وفي تقديري أن الشيء نفسه كان بالنسبة إلى عرفات.

«لذلك، نحن نقول إننا بحاجة إلى السير بشكل مناقض لما كان في ١٩٩٣ و١٩٩٤. ونقول إننا نعلم علم اليقين أن أغلبية الجمهور الفلسطيني وأغلبية الجمهور الإسرائيلي تريدان حل الدولتين، ونعرف ما هي الشروط لتحقيق ذلك. لكن لا توجد ثقة لدى الجانبين بأن هذا هو ما سيحدث. لذا أقول إنه لا يجوز أن تبقى المفاوضات هي الهدف. ما حدث خلال العشرين عاما الماضية هو أن المفاوضات كانت هي الهدف. لماذا لم تعترف أميركا وإسرائيل وأوروبا بفلسطين؟ هذا ليس منطقيا، إذ إنه يتعين أن نصل في نهاية الأمر إلى تسوية الدولتين. برأيي، يجب عليهم أن يعترفوا بالدولة الفلسطينية، وبعد ذلك يتم الجلوس ورسم الحدود، بناء على خطوط العام ١٩٦٧ مع تبادل أراض. وهذا مقبول علينا وعلى الفلسطينيين وعلى جامعة الدول العربية، وهو مقبول على الجميع. وكذلك الاتفاق على تبادل الأراضي بنسبة واحد إلى واحد. وفي وضع كهذا أنت تتحدث عن دولة مقابل دولة. لماذا ينبغي القيام بذلك؟ لأن العالم ما زال يعيش في فرضية أن ما لا يتم تحقيقه بالمفاوضات فإنه ليس شرعيا».

(*) سؤال: ما هو البديل الذي تقترحه؟

أيالون: «البديل هو بدء العمل بصورة مستقلة، من أجل التوصل إلى الشروط نفسها، والشروط معروفة. وهذا هو الفرق بين الآن وبين العام ١٩٩٣».

(*) سؤال: ماذا يعني «العمل بصورة مستقلة»؟

أيالون: «هذا يعني أن على عباس التوجه إلى الأمم المتحدة، وأن تعترف الأمم المتحدة بفلسطين كدولة، وتقول له اجلس وفاوض. ليس كافيا أن نوافق أنت وأنا على ذلك. ينبغي على العالم والرباعية الدولية أن يغيرا الفرضية. لقد جربنا المفاوضات ولم

تنجح.. أعطني مثالا واحدا لدولة نشأت نتيجة لمفاوضات. دولة إسرائيل لم تنشأ نتيجة لمفاوضات. وجميع الدول التي نشأت بعد حرب كوسوفو، والتي كانت تشكل يوغوسلافيا سابقا، لم تكن نتيجة مفاوضات. لماذا يتعاملون مع المفاوضات كأنها أمر مقدس؟. أكرّر أن إسرائيل لم تنشأ من خلال مفاوضات، فلقد تم الإعلان عن إقامتها في الأمم المتحدة وبعد ذلك نشبت الحرب».

(*) سؤال: أنت تقول إن على الفلسطينيين أن يذهبوا إلى الأمم المتحدة ويطالبوا بالاعتراف بدولة فلسطينية؟

أيالون: «أقول لأميركا والرباعية الدولية، أولا، إن عليهما تغيير الفرضية. وأريد أن يتوجه الرئيس الأميركي إلى الجانبين ويقول لهما: هل تريدان الاستمرار في قتل بعضكما؟ حسنا، لكن عليكما أن تهتما بشؤونكما لوحدكما من اليوم فصاعدا. وأنا أقول هذا لأن غالبية الإسرائيليين وغالبية الفلسطينيين تريدان التوصل إلى تسوية. وهذه التسوية جيدة بالنسبة للمجتمع الدولي. وأريد أن يعد الرئيس الأميركي الجانبين بامتيازات إذا ما تقدما نحو حل، وأن يفرض عقوبات على من يعرقل التوصل إلى حل. وإذا ما أعلنت دولة إسرائيل عن تنفيذ أعمال بناء في المنطقة إيه١ فإن هذا توجه سلبي وينبغي معاقبتها، لأنه يجعل التوصل إلى حل أمراً صعباً. بينما إذا أعلن رئيس حكومة إسرائيل أن الحدود لن تكون شرقي الجدار الأمني وليست لديه أطماع إقليمية شرقه، وإنما الحدود ستكون غربي الجدار مع تبادل أراض، فإن هذا أمر إيجابي. لكن يوجد وراء الجدار ١٠٠ ألف مستوطن. فماذا سنفعل بهم؟ في البداية لن يتم استخدام القوة ضدهم، لكن بعد توقيع اتفاق ينبغي استخدام القوة ضدهم. وحتى يتم ذلك فإن من يريد العودة، ستمنحه دولة إسرائيل شرعية وتعويضات، لأننا نحن الذين أرسلناهم، ونحن ملتزمون حيالهم. وعلينا كإسرائيليين أن نعرض ذلك كانتصار، لأنه بعد مئة عام من الصراع، اعترف العالم العربي أخيراً بأننا هنا من أجل أن نبقى هنا. ودولة إسرائيل هي جزء من هذا المكان. ولا يوجد انتصار أكبر من هذا. بناء على هذا الانتصار يجب إعادة المستوطنين إلى الوطن. ووفقا للأبحاث التي أجريناها، فإن ٣٠ بالمئة منهم، أي حوالي ثلاثين ألف مستوطن، على استعداد للقيام بذلك غدا. وتخيل أن يرى الفلسطينيون فجأة ثلاثين ألف مستوطن يرحلون ويعودون إلى دولة إسرائيل. كيف سيكون تأثير أمر كهذا؟ عندما يحدث أمر كهذا سيرى الفلسطينيون والمجتمع الدولي أننا نريد فعلا التوصل إلى حل الدولتين للشعبين، وأننا لا نتكلم وحسب ونقول إننا نريد تسوية وفي المقابل نوسع المستوطنات. لكن في هذه الأثناء يحظر بناء بيت واحد في المستوطنات الواقعة وراء الجدار، بينما يجب مواصلة البناء في الكتل الاستيطانية. كذلك يجب مواصلة البناء في الأحياء اليهودية [يقصد المستوطنات] في القدس، لكن يحظر بناء أي بيت في الشيخ جراح والأحياء العربية، لأن الأحياء العربية في القدس الشرقية ستكون تحت السيادة الفلسطينية، وستكون المدينة عاصمة فلسطين. وإذا نفذنا كل هذا فإن المفاوضات ستكون إيجابية».

(*) سؤال: إن الوضع الآن هو أن المحادثات بين الجانبين تجري حول موضوعات أمنية. وتم تحديد فترة هذه المحادثات بتسعة شهور. ماذا سيحدث بعدها؟

أيالون: «لا أعرف. هل سيتوجه الفلسطينيون إلى الأمم المتحدة أم لا؟ هل سيتوجهون إلى المحكمة الدولية في لاهاي؟ قبل أي شيء على إسرائيل أن تقرر ما الذي ستفعله، وعلى الفلسطينيين أن يقرروا ماذا سيفعلون، وأقصد السلطة الفلسطينية والجمهور الفلسطيني. ففي الانتفاضتين الأولى والثانية، الجمهور لم يسأل عرفات ما الذي يجب فعله، وإنما خرج إلى الشوارع. إذن، يوجد الخيار الأول وهو التوجه إلى المحكمة الدولية والإعلان عن [ارتكاب إسرائيل] جرائم حرب. ويوجد خيار آخر وهو التوجه إلى العنف، وليس مهما ماذا سيسمى هذا، انتفاضة أو إرهابا. ويوجد خيار ثالث، وهو أن يصحو العالم، وأن تضع أميركا شروط الحل، وتقول للفلسطينيين وإسرائيل إنه سنبدأ في تسوية الصراع الآن، وليس عن طريق المفاوضات».

(*) سؤال: هل تغير المفهوم الأمني الإسرائيلي في المفاوضات خلال الأعوام الماضية؟

أيالون: «أعتقد أن المفهوم الأمني الإسرائيلي استند دائما إلى أن خطوط العام ١٩٦٧ ، مع تعديلات صغيرة، ستكون الحدود الدائمة. لكننا قلنا دائما، ولا أعتقد أن هذا تغيّر، إنه يجب أن تكون هناك ترتيبات أمنية إضافة إلى التسوية السياسية، وإن جهاز الأمن الفلسطيني يجب أن يكون مقيدا في كل ما يتعلق بأنواع الأسلحة التي في حيازته، وألا يمتلك دبابات وطائرات مقاتلة وصواريخ. وهذا يعني وجود قوات شرطة فلسطينية تكون قادرة على ضبط النظام العام. ومن يوفر الأمن هي قوات دولية تضمن، خلال السنوات الأولى على الأقل بعد التسوية، عدم تعرض فلسطين لهجوم إسرائيلي وعدم تعرض إسرائيل لهجوم فلسطيني. الأمر الثاني هو أن إسرائيل أرادت ضمانات دائما، أو ما يسمى بمحطات إنذار، حتى لو لم يتواجد جنود فيها، ولكنها تحتوي على أجهزة استشعار الكترونية تسمح لنا

بمعرفة ما يحدث في الحيز العسكري في المنطقة على الأقل».

(*) سؤال: نتنياهو يطالب الآن ببقاء الجيش الإسرائيلي في غور الأردن؟

أيالون: «هذا هو الأمر الثالث. إسرائيل طالبت دائما بحضور بين فلسطين والأردن، لأنه لا أحد منا يعرف ماذا سيحدث في الأردن. هل سيتواجد تنظيم القاعدة أو حركة حماس أو جماعة الإخوان المسلمين هناك، أو هل سيتم فتح جبهة شرقية. إسرائيل نظرت دائما باهتمام أمني إلى الأردن، حتى عندما لم يكن لديها اهتمام سياسي. إذا تم نشر قوات دولية على طول الحدود بين فلسطين والأردن، هل سيسمح ذلك بحضور الكتروني إسرائيلي في المعابر؟ هذا الأمر كان دائما سؤالا مفتوحا ويتعلق بمن يتولى في إسرائيل منصب رئيس الحكومة ووزير الدفاع ورئيس أركان الجيش. وأقدر، إذا كنت أفهم الأمور على حقيقتها، أن الأميركيين يوافقون على المفهوم الإسرائيلي بأن يكون تواجد عسكري في السنوات القريبة وبعد ذلك حضور الكتروني إسرائيلي وقوات دولية. هكذا أفهم الأمور الآن لكني لست مطلعا على هذه الأمور بشكل كاف».

(*) سؤال: ما رأيك في المطلب الإسرائيلي بأن يعترف الفلسطينيون بإسرائيل كدولة يهودية؟

أيالون: «أنا أؤيد هذا، لكن الفلسطينيين اعترفوا بدولة إسرائيل كدولة يهودية. كما أن قرار التقسيم تحدث عن دولة يهودية ودولة عربية. أنا لا أستطيع أن أقرر ما إذا كان ينبغي أن نصر على أن هذا يجب أن يكون جزءا من الاتفاق. وعندما جلست مع سري [نسيبة] كانت هذه المسألة تهمّني جدا. وحقيقة هي أن الجملة الأولى في وثيقتنا كانت "دولتان للشعبين، دولة للشعب اليهودي ودولة للشعب الفلسطيني"».

(*) سؤال: لماذا هذا مهم برأيك، لماذا لا يقال دولة إسرائيل ودولة فلسطين؟

أيالون: «سأقول لك لماذا هذا مهم، وهذا يفسر قليلا الروايات والتاريخ والمخاوف. ما هو الموضوع الأكثر حساسية بالنسبة لإسرائيل من بين موضوعات مثل الحدود والمستوطنات والمياه والأمن واللاجئين؟. إنه الموضوع الأخير. لماذا؟ لأنه يهدد هويتنا كدولة يهودية. ونحن نريد أن نعيش وفقا لنمط حياتنا وهويتنا، وبإمكاننا أن نفعل ذلك فقط إذا كنا أغلبية في الدولة. توجد هنا أقلية عربية ويجب أن تحصل على حقوقها، وحتى على حقوق جماعية معينة، وإلا فإن النظام لن يكون ديمقراطيا. ولكن من يملي الحيز العام واللغة والتقويم هي الأغلبية. وعندما لا تعترف بذلك فإن المخاوف تعود، وستقول لنفسك: لحظة، توجد هنا أقلية عربية، والعرب يريدون لم شمل عائلات، وسيتم فتح سوق العمل... هذا يمس بالأعصاب الحساسة للهوية اليهودية. لذلك، مثلا، نحن نسن قوانين هجرة تسمح بهجرة اليهود فقط إلى إسرائيل، مثل قانون العودة. وأقدر أن هذا بالضبط ما ستفعله الدولة الفلسطينية بأن تسمح بعودة الفلسطينيين إليها وليس اليهود الذين يريدون الاستيطان في الخليل. لكن عدا ذلك، نحن نريد دولتين للشعبين. والاعتراف بالشعب اليهودي وحقه في دولة موجود في عدد كبير من وثائق المجتمع الفلسطيني، وأنا شخصيا لست بحاجة الآن لاعتراف آخر بالدولة اليهودية».

(*) سؤال: هل تتخوف من دولة ثنائية القومية، وهل تعتقد أن هذا قد يتحقق؟

أيالون: «لا أؤمن بدولة ثنائية القومية. دولة كهذه ستكون دولة جميع مواطنيها. ومثل هذا الأمر لم يحدث في الشرق الأوسط حتى الآن».

(*) سؤال: هل تفكر بالعودة إلى الحياة السياسية؟

أيالون: «لا، لقد أدركت أنني لست ملائما لهذا. كما أنني لست مشتاقا لذلك قطّ».